تعدد أوجه الإعراب
فى الجملة القرآنية

د. محمد حماسة عبد اللطيف

للقرآن نمطه الخاص فى التركيب الذى يكمن فيــه كثير من أسرار اعجازه ، وتعدد وجوه هــذا الاعجاز ، اذ يجد المتمرس بأساليب العربية وطرائقها فى التعبير أن نمط الجملة العربيــة فى القرآن فرد متميز ، وقــد حاول العلماء على مر العصور معرفة سر هــذا الاعجاز الخالص المتجدد وجهدوا فى البحث عن سبله ، وانتجهوا فى ذلك وجهات مختلفة تختلف باختلاف زاويع النظر (١) ، وان كانت جميعا ترمى الى غاية واحــدة ٠

وقد رأى الأكثرون من أهل النظر أن اعجاز القرآن انما هو من جهة بلاغته ، وصاروا « اذا سئلوا عن تحديد هذه البلاغة التى اختص بها القرآن ، الفائقة فى وصفها سائر البلاغات ، وعن المعنى الذى يتميز به عن سائر أنواع الكلام الموصوف بالبلاغة ، قالوا انه لا يمكننا تصويره ولا تحديده بأمر ظاهر نقام به مباينة القرآن غيره من الكلام ، وانما يعرفه العالمون به عند سماعه ضربا من المعرفة لا يمكن تحديده ، وأحالوا على سائر أجناس الكلام الذى يقع منه التفاضل فتقع فى نفوس العلماء به عند سماعه معرفة ذلك ويتميز فى أفهامهم قبيل الفاضل من المفضول منه » وقالوا « وقد يخفى سببه عنــد

---

(١) انظر ما لخصه السيوطى من وجهات النظر المختلفة فى بيان اعجاز القرآن فى كتابه « الاتقان فى علوم القرآن » الجزء الثانى من صفحة ١٩٧ الى صفحة ٢١٢ ط حجازى ١٣٦٠ هـ ٠

البحث ويظهر أثره فى النفس حتى لا يلتبس على ذوى العلم والمعرفة به » وقالوا « **قد توجد لبعض الكلام عذوبة فى السمع وهشاشة فى النفس لا توجد مثلها لغيره منه ، والكلامان معا فصيحان ثم لا يوقف لشىء من ذلك على علـــة »** [١] .

وموقف هؤلاء — برغم ما قيل عنه — يكشف عن اعظام لجلال القرآن واكبار لأسرار اعجازه ، اذ يستصغرون كل سبب دون احـــكام بلاغته ، ولا يجـــدون فيما يقدم لشرح اعجازه ما يعدل هذه المكانة العليا من البيان المعجز ؛ وهم يسلمون مع غيرهم بأن نظم القرآن — على تصرف وجوهه وتباين مذاهبه — « خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم ، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم ، ولـــه أسلوب يختص به ويتميز فى تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد » [٢] مصداقا لقوله — عز وجل — **(قـــل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)** [٣] ولكن هـــذا لم يمنع الباحثين من مواصلة البحث عن سر هـــذا وتلمس أسبابه .

والذى أود أن أعرض لـــه هنا مسألة لم يعرض لها أحد من قبل — فى مبلغ علمى — على أنها وجه من وجـــوه اعجاز القرآن ، وهى تعدد اوجه الاعراب فى الجملة الواحـــدة ، قد يكون لكل وجـــه منها — فى كثير من الأحيان — معنى يراد وغاية تقصـــد .

---

(١) بيان اعجاز القرآن للخطابى : ٢٤ (ضمن ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن تحقيق محمد خلف الله أحمد و د . زغلول سلام — ذخائر العرب ١٦) وقد رد الخطابى على هذا المذهب بأنه لابد أن يكون لهذه المحاسن سبب حاول شرحه فى رسالته المشـــار اليها ، وبالغت الدكتورة بنت الشاطىء فرمت أصحاب هـــذا الاتجاه بالجهل (انظر : الاعجاز البيانى للقرآن : ١٢١ دار المعارف بمصر)

(٢) اعجاز القرآن للباقلانى : ٣٥ (تحقيق السيد أحمد صقر — دار المعارف) .

(٣) الآية ٨٨ من سورة الاسراء .

اعتقد أنه ليس هناك من يجادل فى أن لغة القرآن الكريم لغة مكتوبة واللغة المكتوبة تفتقد الى عنصرين مهمين فى تحديد المراد من الحديث المنطوق :

أولهما : ما يلابس الموقف اللغوى من حركات باليد والجسم والرأس وتعبير بالوجه والعين وغير ذلك ، وهذا قد يغنى أحيانا عن ذكر بعض العناصر اللغوية •

ثانيهما : ما يصاحب الكلام المنطوق من علو فى الصوت أو انخفاض فيه وضغط على بعض الكلمات دون بعضها أو ما يمكن أن يسمى عنصر « التنغيم » ، والتنغيم يقوم بدور مهم فى الحديث المنطوق اذ يكفى — أحيانا — مط كلمة فى بيان المراد منها ولذلك تحذف صفتها مثلا ، وقد شرح ابن جنى هذه المسألة بعبارة واضحة اذ يقول : « وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها [١] ، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب (يقصد سيبويه) من قولهم : سير عليه ليل ، وهم يريدون : ليل طويل • وكأن هذا انما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها ، وذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله : طويل أو نحو ذلك • وأنت تحس هذا من نفسك اذا تأملته ، وذلك أن تكون فى مدح انسان والثناء عليه فتقول : كان والله رجلا ! فتزيد فى قوة اللفظ بـ (الله) هذه الكلمة ،وتتمكن فى تمطيط اللام واطالة الصوت بها ، وعليها ، أى رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك • وكذلك تقول : سألناه فوجدناه انسانا ! وتمكن الصوت بانسان وتفخمه فتستغنى بذلك عن وصفه بقولك : انسانا سمحا أو جوادا أو نحو ذلك ، وكذلك أن ذممته ووصفته بالضيق قلت : سألناه وكان انسانا ! وتزوى وجهك وتقطبه فيغنى ذلك عن قولك : انسانا لئيما أو لجزا أو مبخلا أو نحو ذلك » [٢] •

---

(١) مراده بالحال : الموقف اللغوى الذى يكون فيه الحديث وما يصاحبه من ملابسات حركية وصوتية وغيرهما •

(٢) الخصائص لابن جنى ٢/٣٧٠ ، ٣٧١ (ط دار الكتب ١٣٧٤ هـ ، تحقيق محمد على النجار) •

وقد اختلف النحاة فى توجيه كثير من الجمل القرآنية ، وعاب بعض المحـــدثين عليهم هــذا الاختلاف ، ولكن النحاة كانوا يحاولون بتوجيهاتهم المختلفة أن يقدموا عــدة احتمالات للغة العليا التى تفتقد الى ملابسات الحال أو الموقف اللغوى فى حال النطق ، فتعدد الأوجه الاعرابية فى هذه الحال لا يمكن أن يعد دليلا على عدم أهمية الاعراب أو على الترخص فى العلامة الاعرابية ، ولكنه تفسير للغة المكتوبة واسباغ مواقف ملائمة لكل حالة أو وجـــه ٠

وتعدد أوجه الاعراب بهذا الفهم ضرب من ضروب اعجـــاز القرآن ودليل على ثراء نصـــه وخصوبة عطائه وتعدد اشعاعه بحيث تبدو الجملة القرآنية كالماســـة المشعة أنى استقبلتها ألقت عليك بأضواء ٠

وفى كثير من هــــذه الأوجـــه الاعرابية المختلفة كان النحاة يهتدون بقراءة أخرى ، أو بآية أخرى فى موضع آخر ، وقد قرروا « ان القراءة لا تخالف لأنهـــا الســـنة » (١) وأنه « لا أقـــرأ بكل مـــا يجـــوز فى العربيـــة » (٢) ٠

واذا كان فقدان عنصرى ملابسة الحـــال والتنغيم قد ســـاعد على القول بتعدد الأوجه الاعرابيـــة فان منهج النحاة فى النظر الى اللغة أيضا قد ساعد من جانب آخر على ذلك ، وســـوف أجمل هذه الأسباب مـــع ذكر نماذج من الآيات القرآنية لكل منها ٠

أولا : قد يتفق النحاة على أن هناك عنصرا محذوفا فى الجملة ، ولكنهم يختلفون فى تحديد هذا المحذوف ، وتتعدد أوجه الاعراب بسبب الاختلاف

---

(١) الكتاب لسيبويه ١٤٨/١ (تحقيق عبد السلام هارون ط ٠ دار القلم) ٠

(٢) معانى القرآن للفراء ٢٤٥/١ (ط دار الكتب) ٠

فى تقديره • ومما تعددت فيه الأوجه الاعرابية بسبب الاختلاف فى المحذوف قوله تعالى (وان تخالطوهم فاخـوانكم) [١] حيث ترفع كلمة اخوانكم على تقدير ضمـير « فهم » كأنك قلت « فهم اخوانكم » يقـول الفراء « ولو نصبته كان صوابا ، يريد : فاخوانكم تخالطون » ومثله « فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم » (الاحزاب ـــ ٣٣) ولو نصبت ههنا على اضمار فعـل : ادعوهم اخوانكم ومواليكم وفى قراءة عبد الله « ان تعذبهم فعبادك » ـــ المائدة ١١٨ ـــ وفى قراءتنا « فانهم عبادك » [٢] فجـواز الرفع والنصب آت من تقدير المحـذوف فان قدرت ضميرا فكلمة اخوانكم خبر مرفوع ، وان قدرت فعلا فالضميمة المذكورة مفعول به ، وهنـا تكون كلمة (فاخوانكم) جملة فعلية ، وعلى التقدير الأول جملـة اسمية ، والمعنى لابد أن يختلف باختلاف التقدير ، ولكن الاختلاف هنا دقيق ولطيف غاية فى الدقـة واللطف فاذا كانت الجملة « فهم اخوانكم » فالمعنى ان هـذا شىء ثابت مقرر ولا غضاضة فيه واذا كانت « فاخوانكم تخالطون » فالمعنى أن لا بأس من استحداث هذه السنة الحميدة مـع اخوانكم •

وكتب اعراب القرآن مليئة بهذا النوع من تعدد الأوجه ، وبعضها لم ترد به قراءة كمـا فى الحالة السابقة التى قيست فيها آية البقرة على آية المـائدة ، وبعضها الآخر وردت به قراءة أو أكثر ، ومن نماذج ذلك قوله تعالى (قالوا معذرة الى ربكم) ـــ الاعراف ١٦٤ ، فقد قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائى بالرفع (معذرة) وروى حسين الجعفى عن أبى بكر وحفص عن عاصم (معذرة) نصبا وهى احدى روايتين عن عاصم [٣] يقـول الفراء : « وأكثر كلام العرب أن ينصبوا

---

(١) الآية ٢٢٠ من سورة البقرة •
(٢) معانى القرآن للفراء ١/١٤١ ، ١٤٢ وانظر : ٤٢٥ .
(٣) انظر السبعة فى القراءات ٢٩٦ (تحقيق د . شوقى ضيف ـــ دار المعـارف).

المعذرة ، وقد آثرت القراء رفعها ، ونصبها جائز ، فمن رفع قال : هى معذرة ، كما قال : (ألا ساعة من نهار بلاغ) [١] — الأحقاف ٣٥ — وقد وجه ابن خالويه قراءاتى الرفع والنصب فى الآية قائلا : فالحجة لمن قرأه بالرفع أنه أراد أحد وجهين من العربية أما أن يكون أراد : قالوا موعظتنا اياهم معذرة فتكون خبر ابتداء محذوف أو يضمر قبل ذلك ما يرفعه كقوله (سورة أنزلناها) — النور ١ — يريد : هذه سورة . والحجة لمن نصب أن الكلام جواب ، كأنه قيل لهم تعظون قوما هذه سبيلهم ؟ قالوا نعظهم اعتذارا ومعذرة » [٢] وهكذا نجد أن النحاة يحاولون أن يرسموا موقفا لغويا حيا بحيث تبدو العلامة الاعرابية فيه مؤدية لدورها الصحيح ، يقول أبو حيان فى محاولة منه لبيان ما يدل عليه رفع كلمة (معذرة) ونصبها « وقرأ الجمهور معذرة بالرفع أى : موعظتنا اقامة عذر الى الله ، ولئلا ننسب فى النهى عن المنكر الى بعض التفريط ولطمعنا فى أن يتقوا المعاصى وقرأ زيد بن على وعاصم فى بعض ما روى عنه وعيسى ابن عمر وطلحة بن مصرف معذرة بالنصب أى وعظناهم معذرة [٣] فالنصب هنا لافادة تعليل الموعظة وقد قال أبو البقاء العكبرى من نصب فعلى المفعول له أى وظنا للمعذرة ، وقيل هو مصدر أى نعتذر معذرة » [٤] فهو اذن مفعول مطلق يؤكد الاعتذار .

ثانيا : أشرت من قبل الى أن النص القرآنى يعد نصا مكتوبا ، وهو لذلك يفتقد عنصر التنغيم الذى قد يغنى عن بعض الأدوات ، كأدوات

---

(١) معانى القرآن للفراء ٢٠٥/١ .
(٢) الحجة فى القراءات السبع لابن خالوية : ١٤١ (تحقيق د . عبد العال سالم مكرم) .
(٣) البحر المحيط لابن حيان ٤١٢/٤ .
(٤) املاء ما من به الرحمن ٢٨٧/١ .

الاستفهام على سبيل المثال ، ولما كان القرآن الكريم يعد نصا مكتوبا فقد حاول النحاة تبيين ما تتحمله الجملة القرآنية من دلالات ، ويدخل تحت عنصر التنغيم نغمة الوقف والابتداء ، وهناك مؤلفات مستقلة فى هذا المجال أشهرها **الوقف والابتداء** لابن الأنبارى المتوفى سنة (٣٢٨ هـ) ومن نماذج ذلك اعراب (والراسخون فى العلم) فى قوله تعالى : (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون ...) — آل عمران ٧ — فقد تكون معطوفة على لفظ الجلالة ، وقد تكون مبتدأ خبره (يقولون) يقول العكبرى : « والراسخون معطوف على اسم الله ، والمعنى أنهم يعلمون تأويله أيضا ، و (يقولون) فى موقع نصب على الحال ، وقيل : و (الراسخون) مبتدأ و (يقولون) الخبر ، والمعنى أن الراسخين لا يعلمون تأويله بل يؤمنون به [1] وقد رجح الفراء الاعراب الثانى مستدلا بقراءة أبى وعبد الله [2] ، ففى قراءة أبى (ويقول الراسخون) وفى قراءة عبد الله « ان تأويله الا عند الله ، والراسخون فى العلم يقولون » ومما لا شك فيه أن فقدان التنغيم هو الذى دفع النحاة الى هذا المسلك فقدموا ما يمكن أن تكون عليه الجملة ، ولا شك أن نغمة العطف — فى الحديث — تختلف عن نغمة الاستئناف وابتداء جملة جديدة ، ولعل هذا — كما قلت — من اشعاعات النص القرآنى ، اذ ينبنى على كل وجه معنى مختلف عن المعنى الذى يفيده وجه آخر ، وبتعدد الأوجه تتعدد المعانى ، وبذلك يتيح النص القرآنى فرصة للاجتهاد .

ولعل هذه الآية التالية أوضح فى الدلالة على ما نحن بصدده ، ففى قوله تعالى « يا أبانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت الينا » — يوسف ٦٥ — قالوا ان (ما) استفهامية ، ويجوز أن تكون نافية [3] ولعله

---

(١) السابق ١/١٢٤ .
(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١/١٩١ .
(٣) انظر معانى القرآن ٢/٤٩ واملاء ما من به الرحمن ٢/٥٥ والبيان فى غريب اعراب القرآن ٢/٤٣ .

من الوضوح بمكان ان نغمة الاستفهام تغاير نغمة النفى ، وهناك فى الكتاب العزيز نماذج أخرى كثيرة جدا ولكن المقام مقام اختصار .

ثالثا : فى العربية كلمات كثيرة لا تظهر عليها علامات المكنى الذى لا يعرب ومنها الضمير : « والمكنى لا يعرب لأن المكنى يضارع المبهم [١] » كما يقول ابن خالويه ، ومعنى كونه لا يعرب انه لا تظهر عليه علامة الاعراب ، والافاننا نعربه أى نبين وظيفته النحوية فى الجملة فنقول انه فاعل أو مفعول به أو مبتدأ أو خبر الى آخره ومن ذلك الاسم الموصول ، ويسميه ابن خالويه الاسم الناقص « ولا علامة فيه لأنه اسم ناقص يحتاج الى صلة وعائد [٢] » وهكذا كل الأسماء المبنية ، وكذلك الاسم المقصور لا يتبين فيه الاعراب لأن آخره ألف مقصورة ، والمضاف الى ياء المتكلم لا علامة فيه كذلك لأن الياء تذهب بالعلامة [٣] .

ومع خلو هذه الأسماء من علامات الاعراب قرر النحاة أن هناك علامات اعرابية مقدرة ، وتقدير العلامة ليس الا مراعاة للحالة الاعرابية أو للوظيفة التى تشغلها الكلمة فى الجملة والربط بين هذه الوظيفة وعلامتها الاعرابية ، ومن المقرر أن تحديد وظيفة الكلمة فى الجملة لا يتم الا بسبب تضافر مجموعة من القرائن المختلفة من لفظية ومعنوية ، ولذلك يمكن اعراب الكلمة الخالية من العلامة الاعرابية بحيث لا تظهر فيها العلامة الاعرابية على الاطلاق ، واعرابها فى هذه الحال لا تقوم به العلامة ولا تدل عليه ، وانما الذى يدل عليه فهم قرينة السياق التى تصب فيها كل القرائن الأخرى ، وقد يقدم النحاة عدة احتمالات فى الجملة

---

(١) اعراب ثلاثين سورة لابن خالويه : ٤٨ .
(٢) السابق : ٥٥ .
(٣) انظر المصدر السابق : ٥٤ ، ٧٩ .

القرآنية الواحـــدة يتقبلها السياق ويستجيب لهـــا المعنى •

ومن أمثلة ذلك ما قالوه فى اعراب قوله تعالى « ألم • ذلك الكتاب لا ريب فيـــه هـــدى للمتقين » ـ البقرة ١ ، ٢ ـ حيث قالوا : « ان هـــدى » يحتمل أن يكون فى موضع رفع ونصب ، فالرفع من أربعـــة أوجـــه :

الأول : أن يكون خبر مبتدأ مقدر ، وتقديره : هـــو هدى •

والثانى : أن يكون خبرا بعد خبر ، فيكون (ذلك) مبتدأ و (الكتاب) عطف بيـــان و (لا ريب فيه) خبر أول ، و (هـــدى) خبر ثان •

والثالث : أن يكون مبتدأ و (فيه) خبره ، والوقف على هذا القـــول على (لا ريب) •

والرابع : أن يكون مرفوعا بالظروف على قول الأخفش والكوفيين ، والنصب على الحال من (ذا) أو من (الكتاب) أو من الضمير فى (فيه) • فان جعلته حالا من (ذا) أو من الكتاب فالعامل فيـــه معنى الاشـــارة ، وان جعلته حـــالا من الضمير فالعامل فيـــه معنى الفعل المقدر وهـــو استقر » [1] ويتجاوز الزمخشرى هـــذه الأوجـــه الاعرابية المختلفة الى مـــا يترتب عليها من الفهم والمعنى فيقول : « والذى هـــو أرسخ عرقا فى البلاغة أن يضرب عن هذه المقال صفحا وأن يقال : ان قوله (ألم) برأسها ، أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها ، و (ذلك الكتاب) جملة ثانية و (لا ريب فيه) ثالثة و (هدى للمتقين) رابعة ، وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جىء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض ، فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها ، وهلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان ذلك انه نبـــه

---

(١) البيان فى غريب اعراب القرآن لابن الأنبارى ١/٤٥ ، ٤٦ وانظر املاء ما من به الرحمن للعكبرى ١/١٠ ، ١١ وقارن بمعانى القرآن للفراء ١/١٢،١

أولا على أنه الكلام المتحدى به ، ثم أشير اليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدى وشـــدا من أعضاده ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لأنه لا كمـــال أكمل مما للحق واليقين ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة ... ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحـــوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ثم لم تخل كل واحـــدة من الأربع بعد أن رتبت هـــذا الترتيب الأنيق ونظمت هذا النظم السرى من نكتة ذات جزالة ، ففى الأولى (١) الحـــذف والرمز الى الغرض بالطف وجـــه وأرشقه ، وفى الثانيـــة (٢) ما فى التعريف مـــن الفخامـــة ، وفى الثالثـــة (٣) ما فى تقـــديم الريب على الظرف ، وفى الرابعة (٤) الحذف ووضع المصـــدر الذى هـــو هدى موضع الوصف الذى هـــو هاد وايراده منكرا والايجـــاز فى ذكر المتقين (٥) . ولعلك رأيت معى أن الزمخشرى قد حاول أن يرتب معنى على اعتبارات تقسيم هذه الآية الى تلك الجمل ، مع أن هـــذه الآية تحتمل أوجها أخرى غير التى ذكرها ، والذى أعان على هـــذا كله هـــو ان بها عددا من الكلمات لا تظهر عليـــه علامات الاعراب اما لأنها مبنية مثل (ذلك) أو لأنها اسم مقصـــور مثل (هـــدى) . ونمـــاذج هـــذا الضرب فى القرآن الكريم كثيرة جدا وتجـــد صداها فى كتب التفسير وكتب اعراب القرآن .

رابعا : فى العربية عـــدد محدود من علامات الاعراب يتوزع على الوظائف النحوية المختلفة ، وبطبيعة الحـــال لابد أن تشترك أكثر مـــن

---

(١) وهى قوله تعالى (الم) .
(٢) وهى قوله تعالى : (ذلكَ الكتاب) .
(٣) وهى قوله تعالى : (لا ريب فيه) .
(٤) وهى قوله تعالى : (هدى للمتقين) .
(٥) تفسير الكشاف للزمخشرى ٢١/١ .

وظيفة نحوية فى علامة واحـدة كاشتراك وظيفة المبتدأ والخبر والفاعل ونائب الفاعل واسم كان وخبر ان فى الرفع ، واشتراك المفاعيل الخمسة والحـال والتمييز والمنـادى المنصوب مثلا فى النصب ، ومن هنا لا يمكن القـول بأن العلامة الاعرابية وحدها هى التى تحدد المعنى النحـوى المعين ، بل لابد من أن تكـون هناك فى الجملة وسائل أخرى تعين علـى تحديد هـذا المعنى النحـوى ، وهى ما سماها الأستاذ الدكتور تمـام حسان [١] « القرائن » وبسطها على مدى كتاب بأكمله وشرح القول فيها .

وهنا نجـد أن اشتراك أكثر من معنى نحـوى كالفاعلية والابتداء والخبرية وغيرها فى علامة الرفع مثلا كان مدعاة لتعدد الأوجه الاعرابيـة فى الكلمة الواحـدة ، وبخاصة فى الجملة القرآنية ، ومن ذلك أننا نجـد النحاة فى اعراب قوله تعالى « غير المغضوب عليهم » ـ الفاتحة ٧ ـ يجيزون فى (غير) الجـر والنصب ، ويلفت النظر هنا أن الجر علامته واحـدة فى هـذه الكلمة ومع ذلك تتعدد المعانى المرتبطة به يقـول ابن الانبارى « فأما الجر فمن ثلاثة أوجـه :

احدها : أن يكون مجرورا على البدل من الضمير فى (عليهم) .

والثانى : أن يكون مجرورا على البدل من (الذين) .

والثالث : أن يكون مجرورا على الوصف (للذين) لأنهم لا يقصـد بهم أشخاص مخصوصة فجرى مجرى النكرة فجاز ان يقع وصفا لـه وان كانت مضافة الى معرفة [٢] فعدم تحديد المبدل منه ، وعدم تحـديد البدلية من النعتية أجاز هـذه الأوجـه المختلفة وسـوغ ذلك اشتراكها فى هـذه الحـالة فى علامة اعرابيـة واحـدة ، ويبين الزمخشرى ما يترتب من المعنى على كون (غير) بدلا أو صفة فيقـول « غـير المغضوب عليهم » بدل من « الذين أنعمت عليهم » على معنى أن المنعم عليهم هم الـذين سلموا من غضب الله والضلال ، أو صفة على معنى أنهم جمعوا بين النعمة

---

(١) انظر : اللغة العربية معناها ومبناها للدكتور تمام حسان .

(٢) البيان فى غريب اعراب القرآن لابن الأنبارى ١/٤٠ وانظر معانى القرآن ١/٧ .

المطلقة وهى نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال » [١] وقيل فى نصبه اما أن يكون منصوبا على الحالية أو بتقدير (أعنى) فيكون مفعولا به أو على أنه استثناء منقطع وقد سوغ هذه الأمور اشتراكها فى علامة اعرابية واحدة ولكل وجه منها معنى يراد وغاية تطلب •

ومهما يكن من أمر ، فان هذا جانب حاولت أن الفت النظر اليه ، وانى لأعلم أن كثيرين ينفرون من دراسة النحو لأسباب كثيرة منها هذه الأوجه المتعددة ، ولكنهم لو راضوا أنفسهم عليها لفقهوها • وهى ليست بالعسيرة على كل حال ، وقد بذل النحاة جهدا كبيرا فى كل لغة مكتوبة — وكل تراثنا مكتوب — وحاولوا تقديم بديل عن الموقف اللغوى الذى يكون الكلام فيه محوطا بملابسات أخرى تجعل للجملة الواحدة معنى واحدا مقصورا ، أما اللغة المكتوبة — وأخص من بينها القرآن الكريم لأن هذه السمة تكاد تكون خاصة به — فانها تحتاج الى توضيح لموقفها • ولا يتم ذلك الا ببيان الامكانات المحتملة فى أوجهه الاعرابية ، وقد قدم النحاة للقرآن الكريم كثيرا من الجهد — ولا غرابة فى ذلك فقد قامت الدراسات اللغوية كلها من أجله — فيما يسمى بكتب مجاز القرآن أو معانى القرآن أو اعراب القرآن أو كشف مشكله الخ ، وليس هناك من فرق بين المجاز والمعانى والاعراب فكلها جهود صادقة مخلصة تحاول الكشف عن بعض أسرار هذا الكتاب الخالد ، ولكنهم لم يشيروا الى أن هذا الجانب يعد من اعجاز القرآن العظيم [٢] •

---

(١) الكشاف للزمخشرى ١/١١ •

(٢) لا ينقض هذا محاولة عبد القاهر الجرجانى الفذة فى فهم أسرار الاعجاز القرآنى من خلال « النظم » الذى يجعله مرتبطا بمعانى النحو ، فان عبد القاهر قد تعامل مع الآيات القرآنية على الوجه الذى وردت به فى القراءة المعروفة وعلى الوجه الأظهر فى الاعراب ، ولم يشر الى أن تعدد أوجه الاعراب فى الجملة الواحدة يعد من أوجه الاعجاز القرآنى ، والذى أود الاشارة اليه ان محاولة عبد القاهر تتعامل مع وجه واحد من وجوه الجملة القرآنية ، وما اقول به أن الجملة التى تحتمل أوجها أخرى بعد كل وجه منها جملة معينة تحتاج الى فهم جديد ، وقد يترتب على هذا الوجه أو ذاك حكم فقهى يتخذه بعض المسلمين أساسا فى التعبد والمعاملة وهذا هو الجانب الذى الفت النظر اليه وأدعو الى اعادة بحثه من زاوية الاعجاز القرآنى .